© 2021 مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
المجلد 13، ع(1)، يونيو، حزيران 2021م، ص266-235

مفسدات البناء الإنساني والحضاري عند ابن عاشور من خلال التحرير والتنوير: دراسة موضوعية(*)

محمد أمين حسيني[1] مصطفى عبد الله[2] فؤاد بوالنعمة[3]

(The Spoilers of Human and Civilization Development According to Ibn ʻĀshūr in His Book Al-Taḥrīr wa Tanwīr: Thematic Study)

Mohamed Amine Hocini, Mustaffa Bin Abdullah, Fouad Bounama

ABSTRACT

This research aims to clarify the spoilers and obstacles of human and civilization development in the light of Qur'ān according to Ibn ʻĀshūr in His Tafseer Al-Taḥrīr wa Tanwīr. The problem statement of this research is that the spoilers of human and civilization development in the light of Qur'ān as mentioned in Tafsīr Al-Taḥrīr wa Tanwīr need to be identified and highlighted, the Qur'ānic methodology in dealing with those spoilers and obstacles also need to be clarified. This study is significant because it discusses the subjects of human and civilization development, in terms of protection and preservation, which is essential to assist man perform his duties. This research used the inductive and analytical approaches. The findings of the research show that the Qur'ānic approach not only develops human and establishes civilization, but rather sets up mechanisms to protect and preserve them from which can interrupt and spoil the development process. In addition, the spoilers and obstacles of human and civilization

(*) This article was submitted on: 22/07/2019 and accepted for publication on: 12/06/2021

[1] Assistant Prof. Dr. Mohamed Amine Hocini
Faculty of Theology. University of Karabük., Turkey. Email: aminehocini@karabuk.edu.tr

[2] Assoc. Prof. Department of Al-Quran and Al-Hadith. Academy of Islamic Studies, University of Malaya. Email: mustaffa@um.edu.my

[3] Department of Al-hadith. Faculty of Islamic Sciences. Al Madinah International University. Email: fouad.bounama@mediu.edu.my

development according to Tafseer Al-Taḥrīr wa Tanwīr are divided into two categories, namely: the internal and external.

Keywords: *Spoilers, Qur'ānic Methodology, Human Development, Civilization Development, Al-Taḥrīr Wa Tanwīr, Ibn 'Āshūr.*

ملخص

تتمثل مشكلة البحث في أن مفسدت البناء الإنساني والحضاري كما وردت في تفسير التحرير والتنوير تحتاج إلى استنباط وبيان، وذلك بتحديدها وتصنيفها وبيان منهج القرآن الكريم في التعامل معها. يهدف هذا البحث إلى بيان مفسدات البناء الإنساني والحضاري في القرآن الكريم عند ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير. البحث مهم لأنه يتطرق إلى موضوع بناء الإنسان والحضارة من جهة الوقاية والصيانة الذي هو من صميم عملية البناء. اعتمد الباحثون المنهج الاستقرائي بغرض تتبع وجمع النصوص التي تطرقت إلى مفسدات البناء الإنساني والحضاري في تفسير التحرير والتنوير، كما اعتمدوا المنهج التحليلي الوصفي لتحليل النصوص المجموعة وملاحظة السياق الذي وردت فيه واستنباط مفسدات ومعوقات البناء الإنساني والحضاري. ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحثون ما يلي: أن حماية البناء الإنساني والحضاري من المفسدات يعتبر من صميم منهج القرآن في بناء الإنسان والحضارة. فيمكن ملاحظة أنّ منهج القرآن في البناء يسلك مسلكين، مسلك التأسيس والإنشاء ومسلك الوقاية والحماية، وهما مسلكان متكاملان يعملان بالموازاة. ومن النتائج أيضا أن مفسدات الإنسان والحضارة نوعان: ذاتية والمتمثلة في طبيعة الإنسان وميولاته ومن ذلك ارتكاب المعاصي، وخارجية والمتمثلة في شياطين الجن والإنس، وأن المنهج القرآني وضع السبل والآليات الكفيلة بحماية وصيانة الإنسان والحضارة من هذه المفسدات.

كلمات دالَّة: مفسدات، معوقات، بناء الإنسان، بناء الحضارة، ابن عاشور، التحرير والتنوير

1. مقدمة

إن بناء الإنسان والحضارة هو المقصد الأعلى للقرآن الكريم، وقد صرّح بهذا الإمام ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير فقرر أن المقصد الأعلى والهدف الأسمى من إنزال القرآن الكريم هو: "صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية"[4]. وذكر ابن عاشور أن هذا المقصد الأعلى للقرآن الكريم يتكون من ثلاثة مستويات أو يمر عبر ثلاث مراحل: المستوى الفردي فالجماعي فالعمراني. فالقرآن الكريم يسعى إذن إلى بناء الإنسان وحضارته، غير أن عملية بناء الإنسان والحضارة وفق المنهج القرآني تكون على مستويين اثنين يعملان بالموازاة، المستوى الأول: التأسيس والإنشاء والتطوير، وذلك عن طريق بناء الإنسان من جميع جوانبه: العقدي والروحي والخلقي وغيرها، وبإرشاده إلى بناء حضارته في شتى مجالاتها: الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وهذا كله وفق آليات ووسائل معينة. والمستوى الثاني: والذي يتمثل في الوقاية والصيانة وفق آليات ووسائل محددة كذلك. فيلاحظ أن المنهج القرآني لا يكتفي ببناء الإنسان والحضارة وإنما يعمل على صيانتهما مما يعوق قيام هذا البناء ويعود عليه بالبطلان والفساد، فحماية البناء الإنساني والحضاري من المفسدات يعتبر من صميم عملية البناء في ضوء القرآن. وقد صرح ابن عاشور أنّ الطريقة المثلى في عملية البناء لا تتوقف عند حمل الإنسان على الفضائل والكمالات في شتى الجوانب والمجالات الفردية والجماعية والتي بها يكون مؤهلاً لبناء الحضارة وصناعة النهضة، بل تتجاوز إلى حراسة ذلك البناء وحياطته مما قد يفسده

[4] Ibn ʻĀshūr Muḥammad al-Ṭāhar. (2000) *Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr,* Beirut: Mu'assast al-Tārīkh al-ʻArabī, vol. 1, 36.

أو يعوقه[5]. وبناءً على هذا شدد القرآن الكريم تشديداً كبيراً في قضية المفسدات والمعوقات، لأنها بكل بساطة تؤدي إلى نتيجة واحدة ووحيدة وهي الانحراف عن أداء الوظيفة الوجودية المتمثلة في عمران الاستخلاف، وبالتالي يفقد المعنى من الوجود الإنساني في هذه الأرض، بل وينتقل إلى الجهة المناقضة تماما وهي جهة الإفساد فيشتغل بعكس ما أُمر به حيث "يغدو صاحبها مجرّد أداة للإفساد في الأرض، ولإهلاك الحرث والنّسل، ابتغاء مصالحه وأهوائه الشخصية، مهما تحلّى ظاهره بالصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة"[6]. والذي يهمنا في هذا البحث هو نظرة ابن عاشور إلى مفسدات البناء الإنساني والحضاري والوقاية منها في ضوء القرآن الكريم. ومن هنا جاءت أهمية هذا البحث، إذ يسعى إلى بيان مفسدات البناء الإنسان والحضاري في القرآن عند ابن عاشور من خلال كتابه التحرير والتنوير، وقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة.

وأما إشكالية البحث؛ سبق بيان أن بناء الإنسان والحضارة هو المقصد الأعلى للقرآن الكريم كما صرّح بهذا الإمام ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، وأن عملية بناء الإنسان والحضارة وفق المنهج القرآني تكون على مستويين اثنين يعملان بالموازاة، المستوى الأول: التأسيس والإنشاء والتطوير، والمستوى الثاني: والذي يتمثل في الوقاية والصيانة وفق آليات ووسائل محددة كذلك. فحماية البناء الإنساني والحضاري من المفسدات يعتبر من صميم عملية البناء في ضوء القرآن، تتمثل مشكلة البحث في أن مفسدت البناء الإنساني والحضاري في تفسير التحرير والتنوير وردت متفرقة ومتناثرة كما أن بعضها واضح والآخر خفيّ، وهذا ما يجعل الحاجة ملحة إلى

---

[5] Ibn ʻĀshūr Muḥammad al-Ṭāhar. (2001) *Uṣūl al-Nizām al-Ijtimāʻi,* Taḥqīq: Muḥammad al-Ṭāhir al-Mesawi, Al-Urdun, Dār al-Nāfa'is, 135.

[6] Al-Būṭī, Muḥammad Saʻīd Ramaḍān. (1998). *Manhaj al-Ḥaḍārah al-'Insāniyyah fi Al-Qurān*, (Dimashq: Dār Al-Fikr, (3rd ed., vol. 24). Al-Aṣfahānī, Al-Rhāghib (1988). *Ṭafṣīl an-Nash'atayn wa Taḥṣīl as-Saʻādatayn* (Beirut: Dār Al-Gharb al-Islāmī, 31.

استنباط وبيان وحصر تلك المفسدات؛ وذلك بغرض معرفة نظرة ابن عاشور لمفسدات البناء الإنساني والحضاري والوقاية منها في ضوء القرآن الكريم.

وتمكن أهمية هذا البحث في أنه يتطرق إلى موضوع بناء الإنسان والحضارة من جهة الوقاية والصيانة، الذي هو من صميم عملية البناء، في ضوء القرآن الكريم من خلال تفسير عالم من العلماء الذين تشغلهم قضايا البناء والإصلاح؛ فمعرفة مفسدات البناء الإنساني والحضاري وآلية الوقاية منها في ضوء القرآن الكريم يساهم مساهمة فعالة في بناء الإنسان وتأهيله لممارسة دوره الوظيفي في الوجود والمتمثل في الاستخلاف وتأسيس الحضارة.

واعتمد الباحثون في بحثهم هذا المناهج الآتية:

1- المنهج الاستقرائي: يتم توظيف هذا المنهج لتتبع جميع النصوص والأفكار المتخصصة وذات الصلة بمفسدات البناء الإنساني والحضاري في تفسير: "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ويعتمد الباحثون المنهج الاستقرائي أول ما يشرعون في بحثهم بغرض جمع المادة العلمية المتعلقة بمفسدات بناء الإنسان والحضارة وحصرها وترتيبها.

2- المنهج التحليلي: يتم توظيف هذا المنهج في الخطوة التي تلي المرحلة السابقة والمتمثلة في مرحلة الجمع والاستقراء، حيث يقوم الباحثون بتحليل النصوص واستنباط مفسدات بناء الإنسان والحضارة على جميع المستويات في تفسير "التحرير والتنوير" لابن عاشور.

وعند النظر في الدراسات التي عنيت بدراسة التحرير والتنوير نجد أن الباحثين لم يتطرقوا إلى بيان مفسدات البناء الإنساني والحضاري عند ابن عاشور، وإنما كانت جل الدراسات منصبةً حول منهجه في التفسير وحول الجانب اللغوي والبلاغي ومنها ما هو متعلق بالإصلاح الاجتماعي والفكري، وفيما يلي استعراض لبعض الدراسات التي كتبت حول تفسير التحرير والتنوير:

1. (رسالة بعنوان الإصلاح الاجتماعي في تفسير التحرير والتنوير)[7]، تتألف هذه الرسالة من فصل تمهيدي وخمسة فصول، تناولت الباحثة في الفصل الأول أهمية الإصلاح الاجتماعي وأصوله النظرية عند ابن عاشور حيث بينت حقيقة الإصلاح وأصول إصلاح كل من الفرد والمجتمع، وفي الفصل الثاني تطرقت إلى الإصلاح الاجتماعي على مستوى الأفراد وجوانب هذا الإصلاح وذكرت أربعة جوانب لإصلاح الأفراد: جانب الاعتقاد، جانب العمل، جانب العبادات الشرعية وجانب الأخلاق الإسلامية، وأما الفصل الثالث فقد تطرقت فيه إلى الإصلاح الاجتماعي على مستوى المجتمع وجوانب هذا الإصلاح حيث ذكرت ثلاثة جوانب: الإصلاح السياسي ويشمل إصلاح علاقة الخليفة مع غيره وإصلاح علاقة المسلمين مع غيرهم، الإصلاح الاقتصادي، والإصلاح السلوكي ويشمل عادات الناس، وعلاقات الناس فيما بينهم. وفي الفصل الرابع تطرقت الباحثة إلى الإصلاح التعليمي عند ابن عاشور وتحدثت عن الحثّ على اكتساب العلم، وإصلاح العملية التعليمية. وأما الفصل الخامس والأخير فقد عقدته الباحثة لمقارنة الإصلاح الاجتماعي بين ابن عاشور والمدرسة الإصلاحية الحديثة. بالرغم من وجود ترابط وتداخل بين عملية البناء –ومفسدات البناء الإنساني والحضاري جزء منها– والإصلاح والتي كانت محور هذا البحث وقد أشارت الباحثة إلى قضايا مهمة متعلقة ببناء الإنسان والحضارة، إلا أنها لم تتطرق إلى مفسدات البناء الإنساني والحضاري عند ابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير وهذا ما سيقوم الباحثون ببيانه.

2. رسالة بعنوان (الإصلاح الفكري والاجتماعي في تفسير ابن عاشور)[8]، تكونت هذه الرسالة من تمهيد وثلاثة فصول، تناول المؤلف في الفصل الثاني منهج ابن

[7] Hamdiah, Halah Faiq 'Awadh. (2008-2009) *Al-Islah Al-Ijtima'i fi Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr -Dirasah Tahlilyah.* Al-Urdun, Jamiat 'Al Al-Bait.

[8] Al-Kurdi, Abd Al-Rahman Hussein. (2007). *Al-Islah Al-Fikri wa Al-Ijtima'i fi Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr -Dirasah Mawdhu'iyyah.* Malaysia: International Islamic University.

عاشور في كتابه التحرير والتنوير وأبرز فيه أوجه الأصالة والمعاصرة في شخص وفكر ابن عاشور كما قام ببيان الخطوط العامة لمنهجه في تفسيره وأثر المقاصد فيه، وتناول في الفصل الثالث الإصلاح الفكري في ضوء التحرير والتنوير حيث تحدث في المطلب الأول عن الحضارة ومفهوم الدولة وتحدث في المطلب الثاني عن الآخر في نظر الشيخ الطاهر بن عاشور، أما الفصل الرابع فقد خصصه للحديث عن الإصلاح الاجتماعي في التحرير والتنوير وتكلم فيه عن قضيتين رئيستين وهما إصلاح مناهج التعليم والتأليف، ومكانة المرأة.

فالباحث تناول الحياة الفكرية والسياسية لابن عاشور، ورصد جهوده في مجال الإصلاح الفكري والاجتماعي من خلال اختيار بعض القضايا التي أخذت الحيز الأكبر من اهتمام الشيخ ابن عاشور كقضية إصلاح المناهج التعليمية، وحقوق الآخر في الدولة الإسلامية، وقضايا محورية أخرى تصب في معالجة واقع الأمة الإسلامية وإنقاذها من أزمتها الراهنة. فيلاحظ أنه لم يتطرق لمفسدات بناء الإنسان والحضارة في التحرير والتنوير وهذا ما سيتكفل الباحثون بالقيام به.

وهناك دراسات أخرى اعتنت بتفسير التحرير والتنوير غير أنه لا علاقة لها بمفسدات الإنسان والحضارة نذكر بعضا منها لبيان تنوع تلك الدراسات، منها على سبيل المثال:

1. تفسير ابن عاشور "التحرير والتنوير" (دراسة منهجية ونقدية)، للباحث: جمال محمود أبو حسان.

2. اعتراضات الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير، للباحث: علي عبد الحميد عيسى.

3. توظيف القراءات في تفسير التحرير والتنوير، للباحث: محمد علي الرابطي.

4. المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: من أول سورة النساء إلى آخرة سورة الأعراف، جمعا ودراسة وموازنة، للباحث: عبد الرحمن الفضلي.

5. أثر السياق في توجيه المعنى في تفسير التحرير والتنوير —دراسة نحوية دلالية– ، للباحث: إبراهيم سيد أحمد.

6. الاختيارات العلمية للعلامة محمد الطاهر بن عاشور من خلال تفسير التحرير والتنوير، للباحث: محمد نذير أوسالم.

7. الإسرائيليات في تفسير ابن عاشور، للباحثة: زينب الطيب ياسين.

8. آليات الاستنباط عند الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير، للباحث: أبو فراس مراد عطاسي.

9. البلاغة وأثرها في تفسير الطاهر بن عاشور، للباحث: محمود عبد الرزاق الغوثاني.

10. جهود الإمام الطاهر بن عاشور في الرد على شبهات النصارى من خلال تفسيره "التحرير والتنوير"، للباحث: جابر العتيق.

فهذه عينة متنوعة من الدراسات التي كتبت حول تفسير التحرير والتنوير، ويلاحظ أنه لا توجد دراسة عنيت بمفسدات البناء الإنساني والحضاري ومنهج القرآن الكريم في التعامل معها من خلال التحرير والتنوير، وكما سبقت الإشارة من قبل فإن التحرير والتنوير يحتوي مادة علمية متعلقة بمفسدات البناء القرآني للإنسان والحضاري من حيث أنواعها وطرق مواجهتها، ولذلك فإن الباحثون سيقومون بتجميع تلك المادة العلمية الثرية المتناثرة في تفسير ابن عاشور وسيقوم بتنظيمها تحت مباحث قصد إخراجها في حلة متكاملة متناسقة ليتضح جليا نظرة ابن عاشور لمفسدات البناء الإنساني والحضاري في القرآن الكريم من خلال التحرير والتنوير ليسهل الاستفادة منها.

2. تصور ابن عاشور لمفسدات البناء الإنساني والحضاري وموقعها من عملية البناء

سيستعرض الباحثون في هذا المبحث –بشكل جد مختصر– نظرة ابن عاشور لمعالم المنهج القرآني في بناء الإنسان والحضارة حتى يتبيّن موقع مفسدات البناء الإنساني والحضاري من هذه المعالم، ثم سيتطرقون بعد ذلك إلى تعريف الفساد عند ابن عاشور.

1.2 تصور ابن عاشور لمنهج القرآن الكريم في بناء الإنسان والحضارة وموقع المفسدات منه

سبق وذكرنا أنّ ابن عاشور يرى أنّ المقصد الأعلى للقرآن الكريم هو صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية، ويمكن ملاحظة أن هذا المقصد الأعلى يتكون –كما يبدو– من ثلاثة مستويات أو يمر عبر ثلاث مراحل: المستوى الفردي فالجماعي فالعمراني، وهذه المستويات شديد الصلة ببعضها، وفيما يلي عرض لهذه المستويات –كما فصلها ابن عاشور– وبيان للعلاقة بينها:

أما المستوى الأول فهو الصلاح الفردي والذي يقوم أساسا على "تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد لأن الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير، ثم صلاح السريرة الخاصة، وهي العبادات الظاهرة كالصلاة، والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكبر". وأما المستوى الثاني والمتمثل في الصلاح الجماعي فيتوقف على صلاح الأفراد أولا، لأنهم أجزاء المجتمع الذي هو الكل، ولا يتأتى صلاح الكل إلا إذا صلحت أجزاؤه، ويضاف إلى الصلاح الفردي شيء زائد "وهو ضبط تصرف الناس بعضهم مع بعض على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات ومواثبة القوى النفسانية" وسمى ابن عاشور هذا النوع علم المعاملات، ويطلق عليه الحكماء اسم السياسة المدنية. وأما المستوى الثالث الصلاح العمراني، فهو أوسع وأشمل من سابقيه إذ "هو حفظ نظام

العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع، ورعي المصالح الكلية الإسلامية، وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها" وهذا ما يعرف بعلم العمران وعلم الاجتماع[9].

تتمثل معالم المنهج القرآني في بناء الإنسان والحضارة كما يراها ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير في الآتي[10]: ينطلق المنهج القرآني في عملية البناء بتأسيس الإنسان على المستوى الفردي من خلال جميع جوانبه العقدية والروحية والخلقية والعلمية، وتعتبر هذه المرحلة الأولى أهم مرحلة، ويعطي المنهج القرآني الجانب العقدي الأولوية القصوى باعتباره أساس كلّ بناء، وبعد مرحلة الإنسان الفرد يأتي البناء الحضاري وهو في الحقيقة بناء للإنسان ولكن على مستوى جماعي واسع، لأنّ الإنسان الذي يبنيه القرآن الكريم سيشكل مع أفراد آخرين صالحين مجتمعا صالحا ذا أبعاد متعددة: اجتماعية، سياسية، اقتصادية، فيحتاجون —حينئذ– إلى التوجيه والإرشاد إلى طرق التعامل مع بعضهم البعض، وضبط تصرفاتهم ورسم حدود العلاقات بينهم وسياسة أمورهم، وهذا ما يفعله المنهج القرآني، ويعتمد المنهج القرآني على آليات ووسائل فعالة من شأنها أن تبني الإنسان المثالي وتؤسس الحضارة المنشودة، غير أنّ المنهج القرآني في بنائه للإنسان والحضارة لا يكتفي بالبناء والتأسيس فحسب، بل يحوط البناء بالإجراءات والتدابير الوقائية التي من شأنها أن تضمن نجاح عملية البناء وتحفظها وتصونها من المفسدات الداخلية والخارجية، وذلك من خلال آليات ووسائل معيّنة. كما أنّ المنهج القرآني يتميّز بمميزات وخصائص هي سرّ فاعليته ونجاحه، ومن أبرز تلك الخصائص مراعاة فطرة الإنسان، فهذه معالم المنهج القرآني في البناء عند ابن عاشور.

---

[9] Ibn ʻĀshūr (n.d) *Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr,* (vol.1), 36. Ibn ʻĀshūr (n.d) *Uṣūl al-Nizām al-Ijtimāʻi*, 76.

[10] Hocini, Mohamed Amine, *M'alim Al-Manhaj Al-Qur'ani fi Bina' Al-'Insan wa Al-Hdharah: Dirasah Tahliliyyah Moqaranah beyna Tafsirey Fi Zilal Al-Quran wa al-Taḥrīr wa al-Tanwīr,* (Malaysia: University of Malaya, Phd Thesis, 2018), 223-226.

فيتضح مما سبق أن عملية بناء الإنسان والحضارة وفق المنهج القرآني تكون على مستويين اثنين يعملان بالموازاة، المستوى الأول: التأسيس والإنشاء والتطوير، والمستوى الثاني: الوقاية والصيانة، فالحديث عن مفسدات البناء الإنسان والحضارة يندرج تحت المستوى الثاني. فمن هنا يتبين لنا موقع المفسدات من معالم المنهج القرآني في بناء الإنسان والحضارة من خلال التحرير والتنوير وهو ما سنتناوله في بحثنا هذا.

مخطط توضيحي لمعالم المنهج القرآني في بناء الإنسان والحضارة في تفسير التحرير والتنوير

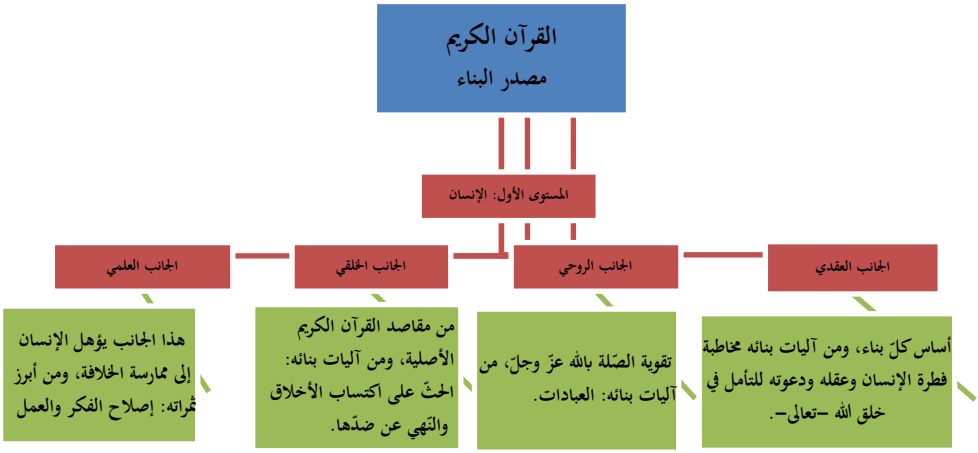

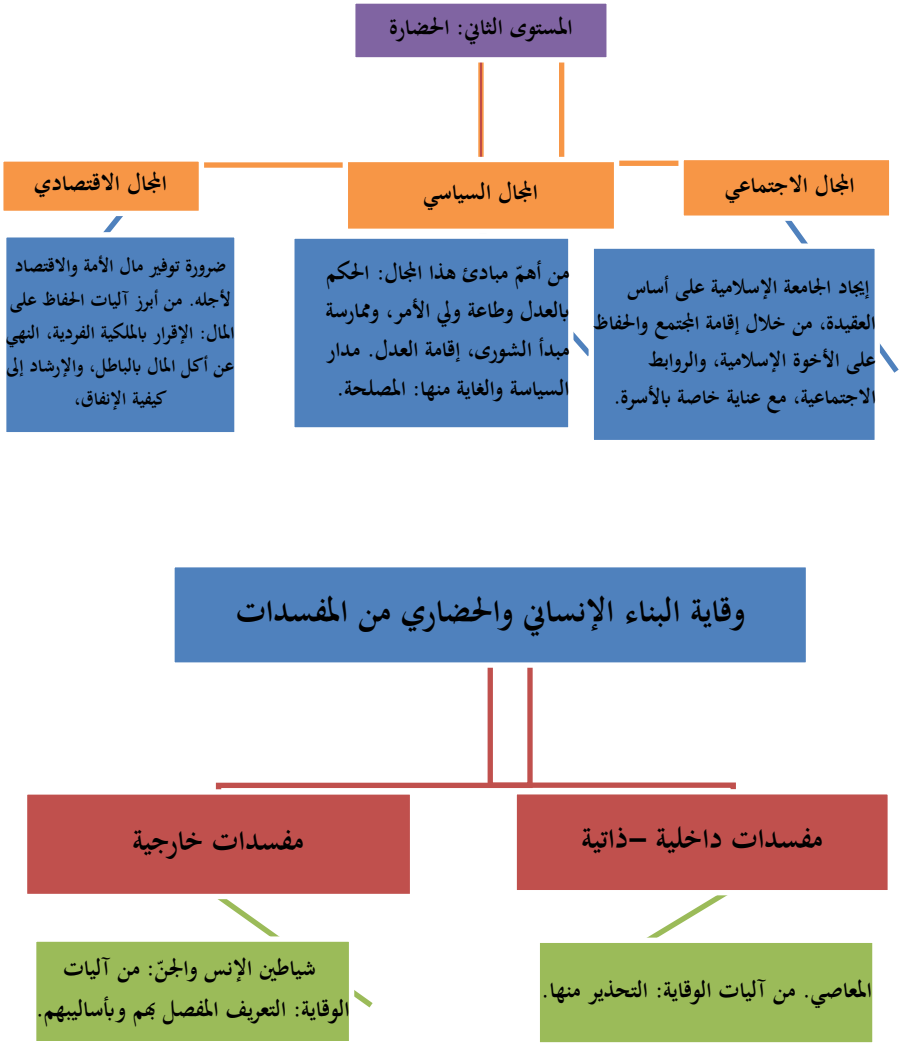
المستوى الثاني: الحضارة
المجال الاجتماعي
المجال السياسي
المجال الاقتصادي
إيجاد الجامعة الإسلامية على أساس العقيدة، من خلال إقامة المجتمع والحفاظ على الأخوة الإسلامية، والروابط الاجتماعية، مع عناية خاصة بالأسرة.
من أهمّ مبادئ هذا المجال: الحكم بالعدل وطاعة ولي الأمر، وممارسة مبدأ الشورى، إقامة العدل. مدار السياسة والغاية منها: المصلحة.
ضرورة توفير مال الأمة والاقتصاد لأجله. من أبرز آليات الحفاظ على المال: الإقرار بالملكية الفردية، النهي عن أكل المال بالباطل، والإرشاد إلى كيفية الإنفاق،
وقاية البناء الإنساني والحضاري من المفسدات
مفسدات داخلية –ذاتية
مفسدات خارجية
المعاصي. من آليات الوقاية: التحذير منها.
شياطين الإنس والجنّ: من آليات الوقاية: التعريف المفصل بهم وبأساليبهم.

الشكل: 1

2.2 مفهوم الفساد عند ابن عاشور

يعرف ابن عاشور الفساد بأنه "اختلال النظام وانتفاء النفع من الأشياء"[11]. ويفصل القول في موضع آخر فيقول: "والفساد أصله استحالة منفعة الشيء النافع إلى مضرة به أو بغيره، وقد يطلق على وجود الشيء مشتملا على مضرة، وإن لم يكن فيه نفع من قبل، يقال: فسد الشيء بعد أن كان صالحا، ويقال: فاسد إذا وجد فاسدا من أول وهلة، وكذلك يقال: أفسد إذا عمد إلى شيء صالح فأزال صلاحه، ويقال: أفسد إذا أوجد فسادا من أول الأمر"[12]. فمن خلال التفصيل السابق يتبين أنّ الفساد هو انتفاء وانعدام النفع من الأشياء، وهذا يشمل حالتين وهما أن تكون الأشياء صالحة ثم يطرأ عليها الفساد، أو أنها توجد فاسدة ابتداء. وأما الإفساد، فهو إزالة الصلاح من الشيء الصالح، أو إيجاد الفساد ابتداء.

بعد استعراض تعريف ابن عاشور للفساد يمكن القول إنّ الفساد الذي يقصد القرآن دفعه ورده عن البناء الإنساني والحضاري هو الحالة الأولى وهي أن تكون الأشياء صالحة ثم يَرِد عليها الفساد فيزول صلاحها، ذلك أنّ المنهج القرآني يبني الإنسان ويجعله مؤهلا لبناء حضارته، فتعرض له مفسدات أو معوقات –أثناء عملية البناء أو بعدها– تقوِّض البناء وتهدمه فيفسد بذلك الإنسان ويصبح غير نافع بل قد يصبح مفسدا، ولذلك كانت معرفة مفسدات ومعوقات البناء الإنساني والحضاري كما يعرضها المنهج القرآني من صميم عملية البناء.

وقد وردت آيات كثيرة تنهى عن الفساد والإفساد، كقوله –تعالى–: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ (الأعراف: 56– 85) ، ففي هذه الآية دلالة على أنّ الله –عزَّ وجلَّ– خلق الأرض على نظام صالح، وعلى رأسها الإنسان الذي جعله أشرف مخلوقاته على الأرض، وسخر له جميع ما فيها، وندبه إلى استعمال ما في

[11] Ibn ʿĀshūr, *Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*, (vol. 17), 30.
[12] *Ibid.*, (vol. 1), 280.

الأرض على وجه يتحقق به الانتفاع، فالإفساد فيها بإبطال نظامها بعد صلاحه فعل فظيع وشنيع[13].

ومن الآيات الدالة على النّهي عن الإفساد قوله –تعالى–: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ (البقرة: 205)، والإفساد في الأرض يشمل جميع ما تحويه مما هو قابل للفساد والإفساد من "البشر والحيوانات والنباتات وسائر الأنظمة والنواميس التي وضعها الله تعالى لها"، بجعل "الأشياء الصالحة مضرة، أو إزالة الأشياء النافعة، أو إفساد الأنظمة" والمساعي[14]. ومنها كذلك قوله –تعالى– في سورة الأعراف مما حكاه عن موسى –عليه السّلام–في وصيته لأخيه حين استخلف على قومه: ﴿وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: 142)، ففي هذه الوصية تحذير من الفساد ومن المشاركة فيه وتحذير من كل عمل يؤول إلى فساد[15].

3. أقسام مفسدات البناء الإنساني والحضاري عند ابن عاشور.

وبالنَّظر إلى ما أورده ابن عاشور في قضية المفسدات يمكن تقسيم المفسدات إلى قسمين، قسم يرجع إلى الإنسان نفسه ويؤثر عليه من الداخل، فيمكن تسميته بالمفسدات الذاتية أو الداخلية وقسم خارج عن ذات الإنسان من شياطين الجنّ والإنس فيمكن تسميته بالمفسدات الخارجية.

1.3 المفسدات الذاتية

[13] *Ibid.*, (vol. 8), 134, (vol. 17), 30.

[14] Ibn ʻĀshūr (n.d) *Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*, (vol.1), 280-281. Malkāwī, Fatḥī Ḥacan. (2011), *Al-Shaykh Muḥammad al-Tāhar Ibn ʻĀshūr wa Qaḍhāyā al-ʾIṣlāḥ wa al-Tajdīd fi al-Fikr al-Islāmī al-Muʻāṣir: Ruʾyah Maʻrifiyyah Manhajiyyah.* Al-Wilāyāt al-Muttaḥidah al-Amrīkiyyah : al-Maʻhad al-ʻĀlamī lil Fikr al-Islāmī, 88.

[15] Ibn ʻĀshūr (n.d) *Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*. (vol.18), 271.

لقد خلق الله –عزَّ وجلَّ– الإنسان على هيئةٍ صالحةٍ، قال –تعالى–: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (التين: 4–6)، غيرَ أنّ ذلك الصلاح الذي جُبِل عليه الإنسان قد يتحوَّل إلى فساد بدواع من ذاته، وقد عرَّف ابن عاشور الفساد الذي يعرض للإنسان بأنه "اختلال اجتلبه الإنسان إلى نفسه باتباعه شهواته باختياره الذي أودعه الله فيه، وبقواه الباطنية"[16]، فهذا الاسترسال يؤدي بالإنسان إلى الإفساد في الأرض بما في ذلك إفساد نفسه[17].

ويفسِّر ابن عاشور كيفية حصول الفساد في الإنسان على الرغم من أنه فطر على الصلاح، بأنّ النفس البشرية منطوية على عاهات في باطنها اعتادت عليها وألفتها من "بواعث الشهوة والغضب"، فيعاودها النُزوع إليها، فتتجرد عن حالة الصلاح التي هي عليها، وتتخذ تلك التعاليم الصالحة وراءها ظهريا، وتشرع في الانحراف إلى حالة الفساد، مؤمِّلة الرجوع إلى حالة الصلاح الأولى التي كانت عليها بعد قضاء مآربها[18].

فلأجل هذا كان من الواجب حفظ ذلك الصلاح في الإنسان وحمايته مما ينقضه من دواعي الفساد، بإيجاد وازعٍ في نفس الإنسان يمنعها من الانحراف عن حالة الصلاح ويعصمها مما ينقضها حتى يصير لها عادة[19]. ومن أبرز ما يقيم هذا الوازع في النُّفوس إثبات الجزاء عن جميع الأعمال التي يقوم بها الإنسان بمثله، قال –تعالى–: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: 7–8)، فيوقن الإنسان بأن جزاءه معروض وسيحاسب عليه، وهذا من شأنه أن يوجد في نفسه الخوف والرجاء، وقد أشار إليهما قوله –تعالى–: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (الحجر: 49–50)[20].

---

[16] *Ibid.*, (vol. 23), 145, (vol. 22), 118.
[17] *Ibid.*, (vol. 8), 133, (vol. 3) 29.
[18] Ibn ʻĀshūr Muḥammad al-Ṭāhar (n.d) *Uṣūl al-Nizām al-Ijtimāʻi*, 135-136.
[19] *Ibid.*, 136, 137.
[20] *Ibid.*, 140.

ومن المفسدات الذاتية للإنسان ما يلي:

أ- الكفر بالله -تعالى- والتكذيب بالرّسل والرسالات (فساد العقيدة): إن فساد العقيدة والكفر بالله -عزَّ وجلَّ- والتكذيب برسله وآياته من مفسدات البناء الإنساني والحضاري والعمراني، فباستقراء الأمم التي حلَّ بها العذاب والاستئصال في الدنيا يتبين أنهم جميعا اشتركوا في الكفر بالله -تعالى- ورسله وآياته، قال -تعالى-: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾ (الطلاق: 8-9) وقال -تعالى-: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل: 112)، فالآيات السَّابقة كلها تدلُّ على أنّ الكفر والتكذيب والفساد كلُّها أسبابٌ موجبة لحلول العذاب على الأمم ولدمار بيوتهم وعمرانهم[21]. وهذا الإهلاك ليس متعلقا بفئة معيّنة أو أمّة خاصة أو بعض القرى بل هو عام في جميع المجرمين المكذبين، فهي سنّة الله -تعالى- في هذا الوجود، قال -تعالى-: ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ (المرسلات: 18)[22].

وسبب كون الكفر بالله -عز وجلّ- من مفسدات البناء الإنساني والحضاري يرجع إلى أنّ الأفعال والأعمال هي انعكاس ما يعتقده الإنسان، فابن عاشور يعتبر أنّ الشرك -الذي هو فساد في الاعتقاد وضلال في التصوُّر- هو أصل الأفعال المذمومة، والتي ستؤدي بأصحابها إلى الهلاك واستحقاق العذاب[23].

يرى ابن عاشور أنّ الله -عزَّ وجلَّ- يمهل هؤلاء الكفار والمكذبين، فإذا أراد صلاحهم فإنه يرسل إليهم رسلا من عنده ترشدهم وتبيّن لهم طريق الهدى، فإن أجابوا رسل الله -عزَّ وجلَّ- وأطاعوهم رضي الله -تعالى- عنهم وصرفوا عن أنفسهم العذاب

[21] *Ibid.*, (vol. 3) 33, (vol. 8)166, (vol. 13) 246, (vol. 14) 43, (vol. 19) 50.
[22] Ibn ʿĀshūr (n.d) *Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*, (vol. 29) 396, (vol. 28) 299.
[23] *Ibid.*, (vol. 2) 289, (vol. 13) 53.

واستمرت عليهم النعم، كما حصل مع قوم يونس –عليه السلام–، وإن عصوا الرُّسل وشاقُّوهم وأصَرُّوا على كفرهم حلَّ عليهم العذاب وتغيرت حالة النعمة إلى نقمة، قال –تعالى–: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (يونس: 47)، فسنة الله –عزَّ وجلَّ– أنه لا يغير نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم بأن "تتغير أحوالهم ببطر النعمة فيعظم فسادهم"، قال –تعالى–: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الأنفال: 53)[24].

ب– ارتكاب المعاصي: إنَّ ارتكاب المعاصي من مفسدات البناء الإنساني والحضاري قال –تعالى–: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: 41)، ففي هذه الآية دلالة على أنّ ما يصيب الأمم إنما هو جزاء أعمالهم وصنيعهم[25]، كما أنّ نزول العذاب العام يكون بسبب فساد المترفين وفسقهم قال –تعالى–: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ (الإسراء: 16)[26].

فانتشار المعاصي وفشوها مع انعدام من يقوم على إنكارها وتقويمها وبيان خطرها ومنعها وبثّ الصلاح من أسباب عموم العذاب، قال –تعالى–: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال: 25)، فاكتفاء جماعة من الصالحين بامتثال أوامر الله –عزَّ وجلَّ– واجتناب نواهيه في خاصة أنفسهم غير كاف في صرف العذاب والهلاك[27].

وفي المقابل فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمنع نزول العذاب والعقاب العام، لأنه سبب في الإقلاع عن المعاصي والمنكرات التي بها يستجلب العذاب، كما قال –تعالى–: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ

[24] *Ibid.*, (vol. 9) 136, (vol. 11) 98, (vol. 29) 74, (vol. 20) 82.
[25] *Ibid.*, (vol. 21) 62,
[26] *Ibid.*, (vol. 18) 67.
[27] Ibn ʻĀshūr (n.d) *Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*, (vol. 9) 71-72.

إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ (هود: 116)، ففي الآية إشارة إلى أنّ النهي عن المنكر سبب نجاتهم، وفي هذا دلالة على أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، فإذا قامت مجموعة صالحة لتنهى قومها عن الفساد لارتدعوا عن المعاصي ولصلحت حالهم، "فلا يحق عليهم الوهن والانحلال، ولما حل بهم ما حل"[28].

والسبب الحقيقي وراء ارتكاب المعاصي يرجع بالأساس إلى **التعلق بالدنيا وملذاتها؛** حيث يغيب عن الإنسان أنّ هذه الدنيا مسخرة له بغرض الاستعانة بها على أداء مهمته في الوجود، وبالتالي فإنه سيجعلها غاية لا وسيلة ويعتقد أن له حق التصرف المطلق في استعمالها سواء في الخير أو الشّر، فهذا التصور المشوه لحقيقة الحياة الدنيا سيشكل عائقا وحائلا للإنسان عن ممارسة وظيفته العمرانية ويحرفه عن دوره في الوجود[29]، فلذلك جاءه النهي عن اختلاط أولوياته وانحرافه عن هدفه بسبب تعلقه بالدنيا[30]. ويوجد تصور آخر مشوه لحقيقة الدنيا وهو الذي يفهم من الآيات التي فيها تحذير من فتنة الدنيا أنّ فيها دعوة إلى العزوف عن أداء مهمة الاستخلاف، ويتشكل في ذهنه أن عمارة الأرض تتنافى مع العبودية وعمارة الدار الآخرة. وهذا فهم خطأ كذلك، فبناء الحضارة وعمارة الأرض هو الاستخلاف الحقيقي وهو لبّ العبادة، والتقوقع على الذات والاكتفاء بالعبادات الفردية والغفلة عن الجوانب الأخرى لن يبني عمرانا على الإطلاق وفي ذلك يقول الشيخ الغزالي –رحمه الله تعالى– بأنه لو قضى المسلم: "عمره قائما إلى جوار الكعبة، ذاهلا عما يتطلبه مستقبل الإسلام من جهاد علمي واقتصادي وعسكري، ما أغناه ذلك شيئا عند الله.. إن بناء المصانع يعدل بناء

---

[28] *Ibid.*, (11) 345-347. Quṭub, Sayyid (2013) *Fī Zilāl al-Qur'ān.* (40th ed, 2) Cairo: Dār al-Shurūq, 928- 929, (vol. 3) 1932-1933.

[29] Al-'Ajmī, Abū Yazīd (1983) *Ḥaqīqat al-'Insān bayna al-Qur'ān wa Taṣawur al-'Ulūm.* n.p: Sislsilat Da'wat al-Ḥaq, 7.

[30] Al-khāzin, 'alā' al-Dīn. (1995) *Lubāb al-Ta'wīl fī ma'ānī al- Tanzīl*, Taḥqiq: Muḥammad Ali Shāhīn, (vol. 2) Beirūt: Dār al-Kutub al 'Ilmiyyah, 344.

المساجد"[31]، ويقول شريعتي: "المجتمعات إما أن تتجه إلى التمسك بالزهد والآخرة، أو تنشد التراب والتمسك بالدنيا. كل المدَنيَاتِ كانت هكذا"[32].

والتصور الأسلم هو الذي يعتبر الدنيا مطية للآخرة، ويرى أنّ عمارتها من صميم العبادة، وفي نفس الوقت يحذر من الوقوع في مزالق التعلق بها وجعلها غايةً وهدفاً لذاتها بحيث إنها تعيقه عن أداء وظيفته الوجودية في الكون.

2.3 المفسدات الخارجية

سبق وذكرنا أنّ المفسدات الخارجية تتمثل في العوامل الخارجية التي تفسد الإنسان والتي تتمثل في شياطين الإنس والجنّ، وفيما يلي عرض للمفسدات الخارجية:

أ– إبليس: إن إبليس من أبرز المفسدات، فهو في الحقيقة أصل كلّ فساد، يقول ابن عاشور: "فإنَّ كلّ غرور يرجع إلى غرور الشيطان"[33]، يعتبر إبليس العدو اللدود للنَّوع الإنساني، فالأصل في الإنسان هو الصلاح وسلامة الفطرة، ومهمة إبليس إفساد ذلك الصَّلاح وتحريف تلك الفطرة بحمل الإنسان على ما لم يُخلق لأجله وما فيه منافاة للفطرة التي فطر عليها، فلا يحب أن يرى الإنسان في غير حالة الضلال والفساد. قال – تعالى–: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ (الأعراف: 17)، وقد أشار الله –عزَّ وجلَّ– إلى هذه العداوة الجبلية المستحكمة بينهما لاختلاف طبعهما بقوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ (البقرة: 36، الأعراف: 24، طه: 123)[34].

---

[31] Al-Ghazālī, Muḥammad (1992) *Al- Ṭarīq min Hunā*, (Al-Qāhirah: Dār al-Shurūq (3rd ed) 20.

[32] Sharī'atī (1991) Ali. *Al-'Insān wa al-Islām.* (2nd ed) Ṭehrān, Irān : Dār al-Ṣuḥuf li al-Nashr. 15.

[33] Ibn 'Āshūr (n.d) *Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*, (22) 118.

[34] *Ibid.*, (vol. 20) 31. (vol. 8) 38. (vol. 8) 52. (vol. 16) 192. (vol. 2) 287.

– منهج القرآن في التحذير من إبليس: يعتمد القرآن الكريم وسائل عديدة في التحذير من إبليس، وهي كالآتي:

– التعريف بمهمته وهدفه في الوجود: لقد أعلن إبليس هدفه في هذا الوجود وصرَّح به وهو تضليل بني آدم والترصُّد لهم بالإغواء عن الصراط المستقيم، جاء في سورة الحجر قوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر: 39)[35]. فغاية الشيطان التعرُّض للإنسان وصرفُه عن فعل الخيرات وحملُه على ارتكاب السيئات ليتنكب عن الصراط المستقيم، قال –تعالى– في بيان هدفه: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ (البقرة: 169)، فهو لا يأمر إلا بما فيه شرٌّ ومضرَّةٌ وسوء عاقبة للإنسان[36].

– كشف حقيقته والتذكير بعداوته: لقد عرض القرآن الكريم في مواضع كثيرة الشيطان في صورة العدوّ الذي يتربص بعدوّه وهو الإنسان وبيان أن هذه العداوة جبلية فيه، يسعى من خلالها إلى الإيقاع بالإنسان في أسوأ العواقب بحيل مخادعة، كما في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة، 168، 208، الأنعام: 142. يس: 60، الزخرف: 62)، وقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾ (فاطر: 6)، وسبب الإكثار من التذكير بهذه العداوة القائمة بينه وبين البشر تحذير الإنسان "وإثارة داعية مخالفته في نفسه"، حتى لا يغتر بما يوسوس به عدوه ويزينه له من الخواطر التي تبدو صالحة ونافعة ولكنها في حقيقة الأمر مفاسد تعود عليه بالهلاك، وهذا من أعظم كيده ومكره[37].

ومن الأساليب التي يعتمدها المنهج القرآني في إثارة العداوة في نفوس البشر تجاه الشيطان تذكيرهم بإغوائه لأبيهم آدم وأمهم حواء –عليهما السّلام– فالأصل أنّ

---

[35] *Ibid.*, (vol. 8) 37- 38.

[36] Ibn ʿĀshūr, (n.d) *Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*, (vol. 2) 103. Quṭub, (vol. 1) 155, (vol. 3) 1274, (vol. 4) 2145-2504.

[37] Ibn ʿĀshūr (n.d) *Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*, (vol. 2) 103, (vol. 13) 34, (vol. 14) 106, (22)118. Ibn ʿĀshūr Muḥammad al-Ṭāhar, *Uṣūl al-Nizām al-Ijtimāʿi*, 142.

يثأروا لآبائهم ويعادوا عدوهم، كما أنّ في هذا دلالة على قدم هذه العداوة، قال –تعالى–: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ (الأعراف: 27)، فهو لا يزال يسعى إلى تحقيق هدفه بإغواء أكبر قدر ممكن من البشر، إذ إنَّ صفة العداوة مستقرة في خلقته مطبوعة فيه منذ اللحظة الأولى من خلق آدم –عليه السلام– كما قال –تعالى–: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً﴾ (الإسراء: 53)[38]، فإذا استحضر الإنسان هذه العداوة القديمة والمستمرة بينه وبين الشيطان فإنه سيكون حذرا ومتيقظا لكيد عدوّه ومكره ومخادعته ومن كل ما يأتيه منه، لأنَّه لا يدعوه إلا للسُّوء والشَّر، فلا يهنأ له بال حتى يراه منكدا ضالا وفاسدا[39].

– النهي عن اتباعه: إنَّ من لوازم اتخاذ الشيطان عدوا عدمَ اتباعه، والعملَ بضد ما يدعو إليه للأمن من مكره ومكايده، قال –تعالى–: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 168، 169)[40]، وقال –تعالى–: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ (الكهف: 50)، فيذكر ابن عاشور أن في هذه الآية سببين يقتضيان عدم اتباعه وهو أنه تكبَّر على آدم واحتقره وهذا دليل على عداوته، والثاني أنه عصى أمر الله – عزَّ وجلَّ– فهذا "يقتضي أنَّه لا يرجى منه خير وليس أهلا لأن يُتَّبَعَ"[41].

كما أنّ القرآن الكريم قد وصف وعود الشيطان للإنسان بأنها غرور فقال –تعالى–: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً﴾ (النساء: 120، الإسراء: 64)، فما يسوّله له إمَّا باطل لا يقع، أو أنه يقع إلا أنه غير محمود بالمآل، بل إنه نفسه صرح بهذا فقال: ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ (النساء: 119) بالوعود الكاذبة ليتمكن من إضلالهم[42].

---

[38] Ibn ʿĀshūr, (n.d) *Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*, (vol. 8) 28, (vol. 14) 106, (vol. 8) 57.
[39] *Ibid.*, (vol. 8) 52-60, (vol. 22) 118-119.
[40] *Ibid.*, (vol. 22) 119, (vol. 2) 102.
[41] Ibn ʿĀshūr, (n.d) *Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*, (vol. 15) 84.
[42] *Ibid.*, (vol. 4) 257, (vol. 8) 53, (vol. 14) 123-124.

وزيادة على ذلك فإنّ القرآن الكريم يبين عاقبة ومآل أتباع الشيطان بأنه السوء والخسران قال –تعالى–: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً﴾ (النساء: 119)، كما وصف الشيطان بأنه مجبول ومفطور على خذل الإنسان فهو يكيد له ويورطه فقال: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ (الفرقان: 29)[43]، وبين أنَّ الشيطان يكيد لأوليائه ويضرُّهم إذ يدعوهم إلى السعير قال –تعالى–: ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر: 6) "وهذا يؤكد الأمر باتخاذه عدوا لأن أشد الناس تضررا به هم حزبه وأولياؤه"[44].

ونقل لنا القرآن مشهدا من مشاهد يوم القيامة حيث يتبرأ الشيطان من أتباعه ويتنصل من وعوده ويلقي اللوم عليهم، قال –تعالى–: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (إبراهيم: 22)[45]. فمعرفة أنَّ اتباع الشيطان يؤدي بالإنسان إلى الهلاك وسوء العاقبة كفيل بصرفه عنه وأخذ الحيطة والحذر من اقتفاء خطاه.

– وسائل وآليات الإغواء:

وزيادة في التحذير من الشيطان وكيده فقد كشف المنهج القرآني الأساليب والوسائل التي يعتمدها والسبل التي يتخذها لإغواء البشر وإضلالهم، وذلك حتى يكون الناس في حذر منها. ومن أبرز الأساليب التي يعتمدها الشيطان لإغواء بني آدم الوسوسةُ بتزيين المفاسد وتفضيع المصالح قال –تعالى–: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ (الإسراء: 64)[46]. ومن أساليب الشيطان التي يعتمد عليها

[43] *Ibid.*, (vol. 4) 259, (vol. 19) 42.
[44] *Ibid.*, (vol. 22) 120.
[45] *Ibid.*, (vol. 12) 245.
[46] Ibn ʻĀshūr (n.d) *Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*, (vol. 14) 122.

لإضلال البشر أسلوب الوعود والأماني الكاذبة حيث يجعلهم يطمعون في حصول ما لا يمكن حصوله، وقد أفصح الشيطان عن هذا الأسلوب فقال: ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ (النساء: 119)[47].

كما كشف لهم حرص الشيطان على إضلالهم وصرفهم عن الحق باستنفاذه جميع الوسائل والسبل لتحقيق ذلك فقال –تعالى–: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ (الأعراف: 17)، قال ابن عاشور: "مثلت هيئة التوسل إلى الإغواء بكل وسيلة بهيئة الباحث الحريص على أخذ العدو إذ يأتيه من كل جهة حتى يصادف الجهة التي يتمكن فيها من أخذه، فهو يأتيه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله حتى تخور قوة مدافعته.."[48].

ولقد نبه المنهج القرآني الإنسان إلى حقيقة مهمة في معركته مع الشيطان والتي تمثل نقطة ضعف بالنسبة للإنسان ونقطة قوة للشيطان، وهي قدرة الشياطين على رؤية الإنس وعجز الإنس عن رؤية الشياطين، ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الأعراف: 27)، ففي هذه الآية دعوة للإنسان أن يأخذ حذره من كيد الشياطين لأن عدم رؤية العدوِّ عدوَّه مدعاةٌ لأن يغفل عنه وأن يكون حذره منه ضعيفا، كما يمكن أن يؤخذ بغتة إذ لا يدري من أين سيأتيه عدوه[49].

آليات مواجهته: ما سبق عرضه من الحديث عن إبليس ومداخله ووسائل إغوائه كلّها تدخل في آليات مواجهته إذ فيها تعريف مفصل بهذا العدو، ومن أهم الآليات العملية التي أرشد الله –عزَّ وجلَّ– إليها عباده الاستعاذة به –جلّ وعلا– من الشيطان، وفيما يلي تفصيل لهذه الآلية:

الاستعاذة: لقد جعل الله –تعالى– في الشيطان القدرة على إغواء البشر وفتنتهم وتسخيرهم، قال –تعالى: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾ (النساء: 118)،

[47] *Ibid.*, (vol. 4) 257.
[48] *Ibid.*, (vol. 8) 38.
[49] *Ibid.*, (vol. 8) 61.

ففي هذه الآية دلالة على أنّ في نظام البشر الذي خلقوا عليه مداخل يتوسل بها الشيطان لإغوائهم وفتنتهم، "فكلُّ حظٍّ كان للشيطان في تصرُّفات البشر" وأعمالهم هو من النصيب المفروض[50].

غير أنه من سنن الله –تعالى– التي وضعها في نفس الإنسان أن لم يجعل للشيطان سبيلا إليه ولا سلطانا عليه ما دام متعلقا بالله –عزَّ وجلَّ– ومجتنبا لأسباب الغواية والشهوات وكابحا نفسه عنها، أما من كان مسترسلا في الغواية ومائلا إليها ومطلقا العنان لنفسه فإن الشيطان يتسلط عليه، قال –تعالى–: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر: 42)، فإذا عرض للإنسان وسواس من الشيطان فأعرض عنه وعمل بخلاف ما يدعوه إليه فإنه سيقوى عليه فلم يكن حينئذ للشيطان عليه سلطان، وإن استحسن تلك الوساوس وأقبل عليها وعمل بها تكوَّنت لديه القابلية للغاوية فيمكن للشيطان حينئذ أن يتسلط عليه ويغويه[51].

فلذلك كان من أعظم السبل التي أرشد القرآن الكريم الإنسان إليها في مواجهة الشيطان وصرف أذاه ومكايده ومنع تسلطه عليه الاستعاذة بالله –عزَّ وجلَّ– منه، فقال –تعالى–: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (النحل: 98–100)، فمن خلال الآية يتبين أنّ دفع سلطان الشيطان ونفيه يكون بالإيمان والتوكل، لأن "الإيمان مبدأ لتوهين سلطان الشيطان في نفس المؤمن، فإذا انضم إليه التوكل على الله اندفع سلطان الشيطان عن المؤمن المتوكل" فمن كان مؤمنا ومتوكلا على الله –عزَّ وجلَّ– فإنه سيعصمه ويحفظه من إغواء إبليس، ويدلّ على هذا المعنى كذلك قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ (الإسراء: 65)،

[50] Ibn ʿĀshūr (n.d) *Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*, (vol. 4) 257.
[51] *Ibid.*, (vol. 13) 42, (vol. 19) 221.

ونفي السلطان لا يعني أنّ المؤمن معصوم ومنزه من الوقوع في كيد الشيطان، فالواقع يثبت حصوله، ولكن المقصود بنفي السلطان هو عدم تولي المؤمن للشيطان[52].

ولما كانت الاستعاذة بهذه الأهمية والفعالية في دفع وساوس الشيطان فإن النّبي –صلى الله عليه وسلم– قد أمر بالالتجاء إلى الله –عزَّ وجلّ–، فقال –تعالى–: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: 200)، وهذا الأمر ليس خاصا به –صلى الله عليه وسلم– بل يشمل جميع المؤمنين، بل حظهم منه أقوى "لأن نزع الشيطان إياهم أكثر"[53].

ب– شياطين الإنس: ومن مفسدات البناء الإنساني والحضاري شياطين الإنسان من شتى الطوائف الذين لا يرضيهم ولا يسرهم أن يروا المنهج القرآني يعمل ويبني، كما لا يسرهم رؤية آثاره لأنّه يهدد سيادتهم وشهواتهم، فلذلك يسعون إلى إفساد البناء الإنساني والحضاري وإعاقته بكل ما أوتوا من قوة[54].

أولا: الطوائف التي تسعى إلى الفساد:

– المنافقون: لقد وصف القرآن الكريم المنافقين بأنهم مفسدون فقال –تعالى–: ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: 12)، وقد ذكر ابن عاشور مراتب إيقاعهم الفساد فحصرها في ثلاث مراتب: فقال: "وقد عنَّ لي في بيان إيقاعهم الفساد أنه مراتب، أولها: إفسادهم أنفسهم بالإصرار على تلك الأدواء القلبية التي أشرنا إليها فيما مضى وما يترتب عليها من المذام ويتولد من المفاسد. الثانية: إفسادهم الناس ببثِّ تلك الصِّفات والدعوة إليها، وإفسادهم أبناءهم وعيالهم في اقتدائهم بهم في مساويهم، كما قال نوح –عليه السلام–: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾ (نوح: 27). الثالثة: إفسادهم بالأفعال التي ينشأ عنها فساد المجتمع، كإلقاء

[52] *Ibid.*, (vol. 13) 224, (vol. 14) 124-125.
[53] Ibn ʿĀshūr (n.d) *Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*, (vol. 13) 223, (vol. 8) 402-403, (vol. 25) 61.
[54] *Ibid.*, (vol. 30) 238, (vol. 8) 193, (vol. 13) 200-201.

النميمة والعداوة وتسعير الفتن وتأليب الأحزاب على المسلمين وإحداث العقبات في طريق المصلحين[55].

فيلاحظ أنّ المنافقين أنفسهم فاسدون بحيث تخلف فيهم الصلاح الفردي الذي هو الخطوة الأولى لكل صلاح فبهذا لم يكونوا مساهمين في عملية صلاح المجتمع والأمة، ولم يتوقفوا عند هذا الحد بل إن مساعيهم في بثّ الفساد انتقلت إلى أسرهم وعائلاتهم ومن يتعاملون معهم، ثم لتتخطى جميع الحدود لتصل إلى إفساد المجتمع ككل بشتى الوسائل، وهذا يدل على أنّ المنافقين فساد محض وهدفهم الإفساد على جميع المستويات.

ومظاهر سعي المنافقين في إفساد المجتمع المسلم كثيرة ومساعيهم حثيثة ومستمرة وتتشكل بأشكال مختلفة وتتجدد بتجدد الأحوال، ومن ذلك تثبيطهم للمسلمين وزعزعة استقرارهم، كما في قوله –تعالى–: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء: 83)[56]، ومنه موالاتهم لأعداء المسلمين، كما في قوله –تعالى–: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النساء: 141)، وذلك بالتجسُّسِ لصالح أعدائهم وبثِّ الفتن والأراجيف والأخبار الكاذبة بين أفراد الصفّ المسلم لإضعافهم والحطِّ من عزائمهم[57].

– الكفار والمشركون: وقد كانت مساعيهم في الإفساد كثيرة، كصدِّ الناس عن الحقّ والهدى وتزيين الباطل لهم لكي لا يفارقوه، كما قال –تعالى–: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ (فصلت: 26)[58]، وبالسخرية من

[55] *Ibid.*, (vol. 1) 280-281.
[56] Ibn ʿĀshūr (n.d) *Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*, (vol. 4) 202.
[57] *Ibid.*, (vol. 4) 286, (vol. 10) 112.
[58] *Ibid.*, (vol. 25) 45.

المسلمين والاستهزاء بهم، وبمحاولة تشكيكهم في الإسلام وردهم إلى الكفر، كما في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ . وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ . وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ . وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ (المطففين: 29–32)[59]، كما أخبر بأنَّهم يسعون في الكيد للمسلمين والتدبير لهم فقال –تعالى–: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً، وَأَكِيدُ كَيْداً﴾ (الطارق: 15، 16).

– أهل الكتاب: لقد ذكر الله –عزَّ وجلَّ– في مواضع كثيرة نيَّةَ أهل الكتاب في ردِّ المسلمين عن الحق وجعلهم يتَّبِعون دينهم وملَّتهم وهذا من إفساد المسلمين، فقال: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: 120)[60].

ثانيا: آليات مواجهتهم: لقد أعطى المنهج القرآني المسلمين الكثير من التوجيهات والإرشادات لمواجهة هذه المفسدات والتصدي لها، ومن تلك الآليات ما يلي:

– كشف حقيقتهم وفضح مخططاتهم: أطال المنهج القرآني الحديث عن أعداء المسلمين في مواضع كثيرة ومناسبات مختلفة، يعرِّفهم فيها بحقيقة هؤلاء الأعداء وبمخططاتهم، وذلك حتى يكون المسلمون حذرين ويقظين فلا تروج عليهم حيلهم، كما فعل في فضح أحوال المنافقين في سورة التوبة والمنافقين وغيرها، حيث كشف الكثير من دخائلهم ومكائدهم، مثل قوله –تعالى–: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ (المنافقون: 4)، وكما فعل في فضح غاية المشركين وأهل الكتاب في أنهم لا يريدون بالمسلمين الخير، بل يريدون فسادهم وهلاكهم وصرفهم عن الحق، قال –تعالى–: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾ (النساء: 27)، وقال –تعالى–: ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ (الممتحنة: 2)، وقال –

[59] *Ibid.*, (vol. 30) 189.
[60] *Ibid.*, (vol. 25) 129.

تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ (النساء: 44)[61].

– النهي عن الركون إليهم واتخاذهم أولياء: نهى القرآن الكريم المسلمين عن الرُّكون إلى أعدائهم ومخالطتهم وذلك حماية لهم من الفساد الذي قد ينتقل إليهم فيضلُّون ويزلُّون عن الإسلام، قال –تعالى-: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾ (هود: 113)[62]. ولخطورة هذا الصنف فقد حذر الله –عزَّ وجلَّ- منهم نبيه المعصوم –صلى الله عليه وسلم- وهو أكمل النّاس بناءً وأتمهم، وذلك مخافة أن يفتنوه في دينه، فقال –تعالى-: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (المائدة: 49)، فهذا الأمر وإن كان موجّهاً له – صلى الله عليه وسلم- أساساً فإنه موجه إلى غيره من أفراد الأمة الإسلامية تبعاً[63]. وأشار في موضعٍ آخرَ إلى أن مطاوعةَ الكفَّارِ قد تنتهي بالإنسانِ إلى هدمِ بنائِه العقدي وبالتالي بقيةَ الجوانب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (آل عمران: 100).

– الأمر بالصبر والاستعاذة بالله –تعالى– منهم: ومن الآلياتِ الإرشادُ إلى الصبر في مواجهة العدوّ ومعالجة أذاه، قال –تعالى-: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (آل عمران: 186)، وقال –تعالى-: ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (النساء: 104)، ففي هذه الآية تشجيع للمسلمين على مواجهة العدوِّ وحثٌّ لهم على الصبر، كما أرشد الله –عزَّ وجلَّ- المسلمين إلى الاستعاذة به من

---

[61] Ibn ʻĀshūr, *Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*, (vol. 2), 250, (vol. 4), 98, 202, (vol. 28), 124, 126.

[62] *Ibid.*, (vol. 7), 18, (vol. 11), 340-341, (vol. 12), 200, (vol. 20), 123.

[63] Abū Zahrah, Muḥammad. (n.d) *Zahrat al-Tafāsīr*. (vol. 4)Miṣr: Dār al-Fikr al-ʻArabī, 2232.

هؤلاء الأعداء والمفسدين فقال –تعالى–: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ (المؤمنون: 97)[64].

– التسلية: ومن الآليات التي يعتمدها المنهج القرآني في تثبيت المسلمين أمام أعدائهم تسليتُهم وإعلامهم بأنّ هذا الابتلاء والأذى والصدَّ الذي يواجهونه من أعدائهم هو سنّة من سنن الله –تعالى– في أهل الإيمان على مرّ العصور، فقد جوبهوا بالأذى والاضطهاد، لأنّ عادة النّاس ودأبهم مناصبة العداء لمن يخالفهم في معتقداتهم، وفي هذا تسلية للمسلمين وتخفيف عنهم، قال –تعالى–: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: 3) ، وقال –تعالى–: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾ (الأنعام: 112)[65].

ومن التسلية إعلامهم بمعية الله –عزَّ وجلَّ– لهم، وبنصره إياهم وتولي شؤونهم وأمورهم، كما في قوله –تعالى–: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرا﴾ (النساء: 45)، وقوله –تعالى–: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ (إبراهيم: 42)، وقوله –تعالى–: ﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ (إبراهيم: 47)، فهذه الآيات –وغيرها– تصرف عن قلوب المسلمين الخشية والخوف من بأس أعدائهم وتهديداتهم. ومن وسائل التسلية التذكيرُ بأن مآل المفسدين وعاقبتهم الهلاك والدمار قال –تعالى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ (الأنفال: 36)، وقال –تعالى–: ﴿وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: 86)، وأنّ النصر وحسن العاقبة للمسلمين في الدنيا والآخرة، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (غافر: 51– 52)[66].

---

[64] Ibn ʿĀshūr (n.d) *Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*, (vol. 3) 204, (vol. 4) 245, (vol. 18) 98-99, (vol. 28) 178-179, (vol. 30) 556.

[65] *Ibid.*, (vol. 19) 43, (vol. 20) 129- 131.

[66] *Ibid.*, (vol. 4) 144, (vol. 6) 42, (vol. 8) 193, (vol. 9) 93-94, (vol. 12) 271, (vol. 24) 214.

– **محاربتهم**: ومن آليات مواجهة المفسدين وصدِّ عدوانهم قتالُهم ومحاربتهم بالسِّلاح، قال –تعالى–: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ (البقرة: 193، الأنفال: 39)[67].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كلا من البناء الإنساني والحضاري لا يزال يُواجَه من طرف شياطين الإنس بجميع أصنافهم، وهم يضعون المخططات ويبذلون كلّ غالٍ ونفيسٍ لإيقاف عملية البناء وهدمها.

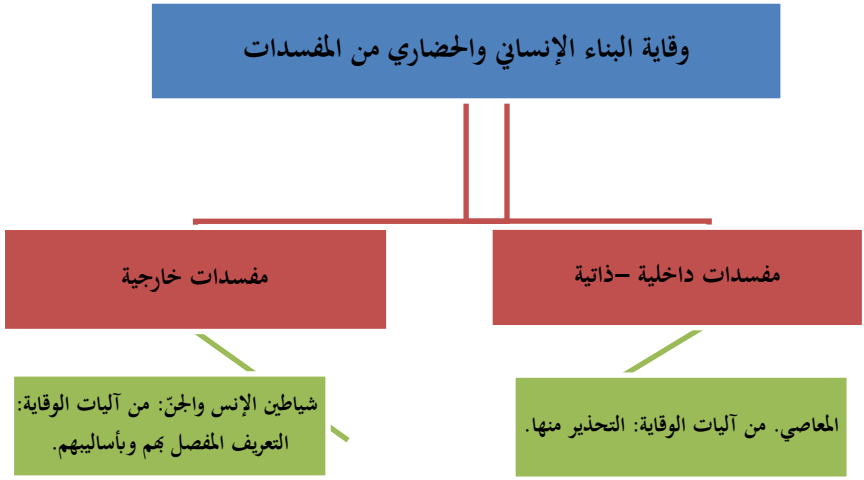

الشكل رقم 2

4. خاتمة

توصل الباحثون من خلال هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

– أنّ منهج القرآن في بناء الإنسان والحضارة يسلك مسلكين، مسلك التأسيس والإنشاء ومسلك الوقاية والحماية، وهما مسلكان متكاملان يعملان بالموازاة.

– أنّ البناء الإنساني والحضاري تعترضهما مفسدات ومعوّقات تحول دون قيامهما أو تعمل على إفسادهما وهدمهما.

[67] Ibn ʿĀshūr (n.d) *Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*, (vol. 9) 99, (vol. 20) 136.

– أنّ عملية البناء الإنساني والحضاري –عند ابن عاشور– لا تعتبر مُثلى حتى تشتمل على وقايته من المفسدات والمعوقات، فمعرفة المفسدات والإحاطة بسبل الوقاية منها يعتبر من صميم عملية البناء التي يقوم بها المنهج القرآني.

– أنّ الفساد –عند ابن عاشور– هو انتفاء وانعدام النفع من الأشياء.

– أن مفسدات البناء الإنساني والحضاري نوعان: داخلية وخارجية. فالداخلية هي التي تؤثر على الإنسان من الداخل ولها تعلّق مباشر بتركيبته الفطرية مثل المعاصي والشهوات، والخارجية هي العوامل التي تؤثر عليه من الخارج والمتمثلة في شياطين الجنّ والإنس.

– أنّ المنهج القرآني تكفّل ببيان تلك المفسدات وحذّر منها وأرشد إلى طرق التعامل معها.

– أن بين مفسدات البناء الإنساني والحضاري ترابطا وثيقا، فهي تفسد الإنسان والحضارة كليهما أو واحدا منهما فيؤدي إلى فساد الآخر، مع العلم أن الإنسان هو أساس الصلاح أو الفساد.

– أنه لا بد من الاسترشاد بالقرآن الكريم والاستمداد منه للتعامل مع جميع أنواع المفسدات الداخلية والخارجية؛ إذ فيه كل التوجيهات اللازمة والضرورية التي تقي الإنسان والحضارة من تلك المفسدات وذلك في كل زمان ومكان.

المصادر والمراجع:

REFERENCES

Abū Zahrah, Muḥammad. (n.d). *Zahrat al-Tafāsīr.* Miṣr : Dār al-Fikr al-ʻArabī.

Al- Aṣfahanī, Al-Rāghib. (1988). *Tafṣīl al-Nashʾatayn wa Taḥṣīl al-Saʻādatayn.* Bayrūt: Dār al-Gharb al-Islāmī.

Al- Ghazālī, Muḥammad. (1992). *Al- Ṭarīq min Hunā.* (3rd ed) Al-Qāhirah: Dār al-Shurūq.

Al-ʻAjmī, Abū Yazīd. (1983). *Ḥaqīqat al-ʾInsān bayna al-Qurʾān wa Taṣawur al-ʻUlūm.* Sislsilat Daʻwat al-Ḥaq.

Al-Būṭī, Muḥammad Saʿīd Ramaḍān. (1998). *Manhaj al-Ḥaḍārah al-Insāniyyah fi al-Qur'ān*. (3rd ed) Dimashq: Dār al-Fikr.

Al-Khāzin, ʿalā' al-Dīn. (1995). *Lubāb al-Ta'wīl fi maʿānī al- Tanzīl*. Taḥqiq: Muḥammad Ali Shāhīn. Bayrūt: Dār al-Kutub al ʿIlmiyyah.

Al-Kurdi, Abd Al-Rahman Hussein. (2007). *Al-Islah Al-Fikri wa Al-Ijtimaʿi fi Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*, Dirasah Mawdhuʿiyyah-. Malaysia: International Islamic University.

Hamdiah, Halah Faiq ʿAwadh. (2008, 2009). *Al-Islah Al-Ijtimaʿi fi Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr -Dirasah Tahlilyah*. Al-Urdun, Jamiat 'Al Al-Beit.

Hocini, Mohamed Amine, Mʿalim Al-Manhaj Al-Qur'ani fi Bina' Al-'Insan wa Al-Hdharah: Dirasah Tahliliyyah Moqaranah beyna Tafsirey Fi Zilal Al-Quran wa al-Taḥrīr wa al-Tanwīr, (Malaysia: University of Malaya, Phd Thesis, 2018).

Ibn ʿĀshūr Muḥammad al-Ṭāhar. (2000). *Tafsīr al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*. Bayrūt: Mu'assast al-Tārīkh al-ʿArabī.

Ibn ʿĀshūr Muḥammad al-Ṭāhar. (2001). *Uṣūl al-Niḍhām al-Ijtimāʿi. Taḥqiq: Muḥammad al-Ṭāhir al-Mesawi*. Al-Urdun: Dār al-Nāfa'is.

Malkāwī, Fatḥī Ḥacan. (2011). *Al-Shaykh Muḥammad al-Tāhar Ibn ʿĀshūr wa Qaḍhāyā al-'Iṣlāḥ wa al-Tajdīd fi al-Fikr al-Islāmī al-Muʿāṣir: Ru'yah Maʿrifiyyah Manhajiyyah*. Al-Wilāyāt al-Muttaḥidah al-Amrīkiyyah : al-Maʿhad al-ʿĀlamī lil Fikr al-Islāmī.

Quṭub, Sayyid. (2013). *Fī Ḍhilāl al-Qur'ān*. (40th ed) Al-Qāhirah: Dār al-Shurūq.

Sharīʿatī, Ali. (1991). *Al-'Insān wa al-Islām*. (2nd ed) Ṭehrān, Irān : Dār al-Ṣuḥuf li al-Nashr.